# مقصد القرآن في تزكية عقل الإنسان

**بحث مقدم**

**للمؤتمر الدولي**

**جامعة العلوم الإسلامية ماليزيا**

**9.8 أكتوبر 2019م الموافق 8ـ 9 صفر 1441هـ**

**دكتور**

**عبد التواب مصطفى خالد معوض**

**أستاذ الشريعة المساعد**

**كلية الشريعة والقانون جامعة الإنسانية ماليزيا**

**مقدمة**

محورية هذا البحث ترتكز على بيان مقاصد القرآن في تزكية عقل الإنسان باعتباره خليفة الله تعالى في الأرض ، المميز عن سائر مخلوقاته ، المنوط به التكاليف الشرعية إذ إن العقل الإنساني بمفرده يعجز عن أداء وظيفته المتمثلة في إرشاد المخلوق إلى تحقيق مقاصد الشريعة من خلقه في الأرض وعلى رأسها توحيد الله تعالى وعمارة الأرض لذا وجب الاسترشاد والاستمساك بالمقاصد القرآنية في تزكية العقل الإنساني بهدف وقاية هذا العقل من الزيغ عن حقيقة وجوده وأداء وظيفته ومن أولويات التزكية القرآنية للعقل : التزكية المادية بالمحافظة عليه من كل ما يضر به ويعوقه عن التفكير السليم ، ويرفع عنه أهلية التكليف. والتزكية المعنوية المتمثلة في تحرير فكره من العبودية لغير الله تعالى ، ووقايته من الانحراف الفكري ، وحفظه بالعلم والتعلم والتدبر وتدريبه على التفكير المنهجي والمنطقي السليم وبذلك ترتفع طاقة العقل على الإدراك الصحيح للحكم الشرعي ويتحرر من عوامل الضعف التي توقف نموه ، وتعطل ملكاته.

ومن ثم جاء البحث موسوما بعنوان " مقصد القرآن في تزكية عقل الإنسان " ضمن المحور الثاني من محاور المؤتمر" مقصد القرآن في تحقيق تزكية الإنسان"

ويهدف هذا البحث إلى تحقق جملة من الأهداف في مقدمتها أربعة:

- بيان ماهية العقل ووظيفته في تلقي العلوم الشرعية.

- بيان أهمية التزكية ودورها في تحرير العقل من قيود الموروث.

- بيان أهم المقاصد القرآنية المنوط بالعقل تحقيقها في الكون

- بيان المقاصد القرآنية في تزكية العقل وتوجيهه التوجيه السليم.

وقد سلك الباحث في بيان تحقق هذه الأهداف المنهج الوصفي التحليلي ، والاستقرائي في بعض الموضع ، مع التركيز على أي القرآن الكريم ، والسنة المطهرة معتمدا في ذلك كله على ما كتب في علم المقاصد قديمها أمثال الإمام الشاطبي و الإمام القرافي وحديثها أمثال : (مقاصد الشريعة ) للطاهر بن عاشور ، و (الاجتهاد المقاصدي) د/ نور الدين الخادمي ، (والاجتهاد النص الواقع المصلحة ) د/ الريسوني ، و (مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة ) د/ عبد الكريم النجار، و ( مقاصد الشريعة ) د/ طه جابر علوان وغيرهم .

ولم يغفل الباحث الرجوع إلى الدراسات المعاصرة التي كتبت حول أطراف الموضوع من مقالات ودراسات معاصرة كان لها عظيم الأثر في بلورة مادة البحث،

علما أن هذا البحث يعنى أساسا بالتركيز على جانب التزكية العقلية من منظور قرآني مقاصدي هادفاً التركيز على بيان أهم عناصر التزكية العقلية في تسلسل علمي بعيدا عن كثرة التفريعات وتباين وجهات النظر المعهودة في الكتب الحديثة والمطولات القديمة وأحسب ـ والله أعلم ـ أن الموضوع بهذه الكيفية لم يتطرق إليه أحد من قبل.

وفي ضوء ما تقدم جاءت خطة البحث مكونة من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة:

القسم الأول : حول العقل والفكر ، الماهية والوظيفة.

القسم الثاني : التزكية وأثرها في تنمية العقل.

القسم الثالث : دور المقاصد القرآنية في تزكية العقل

خاتمة البحث : وفيها مستخلص لأهم النتائج والتوصيات ، ثم المصادر والمراجع

وهذا الخطة قابلة للزيادة والنقصان حسب القدر المسموح به من طرف لجنة المؤتمر والله الموفق والمعين .

**مفاتيح البحث** : مقاصد ـ تزكية ـ العقل ـ الفكر ـ قرآنية

د/ عبد التواب مصطفى خالد معوض

## القسم الأول : حول العقل والفكر ، الماهية والوظيفة.

### 1 . حول المصطلح اللغوي للعقل

العقل : الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، وَالْجَمْعُ عُقولٌ ، والعاقل من يحبس نفسه ويردها عن هواها أن يمسكها ويمنعها ، وقيل : العقل التميز الذي يميز "الإنسان عن الحيوان وقيل: العقل "نقيض الجهل، وقوم عقلاء وعاقلون، ورجل عقول إذا كان حسن الفهم وافر العلم

".وقيل: العقل هو "العلم والحجر، وهو قوة المهيأ لقبول العلم، وبه يستنبط العاقل الأمور [2571].
الفِكرُ: اسم التفكر. فكر في أمره وتفكر. ورجل فِكيرٌ: كثير التفكر. والفِكْرةُ والفِكْر واحد [2572].

## 2 . حول المعنى الاصطلاحي للعقل

تباينت أقوال العلماء في التعريف الاصطلاحي بين القدماء من علماء الكلام والأصول أو التصوف وبين المحدثين وإن تقاربت المعاني .

فمن تعريف القدماء للعقل

أ ـ عرفه ابن رشد بأنه :" نور روحانيٌ تدرك به النفس الأمور الضرورية، والفطرية" [2573].

ب ـ وعرفه القاضي عبد الجبار بأنه "الْعِلْمُ بِوُجُوبِ الْوَاجِبَاتِ وَاسْتِحَالَةِ الْمُسْتَحِيلَاتِ فِي مَجَارِي الْعَادَاتِ" [2574]. .

ج ـ أما الإمام الغزالي فيرى أن العقل من الألفاظ المشتركة التي لا يحدها حد معين ويطلق العقل على خمسة معان:

أحدها: يُطْلَقُ عَلَى الْغَرِيزَةِ الَّتِي يَتَهَيَّأُ بِهَا الْإِنْسَانُ لِدَرْكِ الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ

الثاني: يطلق على بَعْضُ الْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ كَجَوَازِ الْجَائِزَاتِ وَاسْتِحَالَةِ الْمُسْتَحِيلَاتِ.

الثَّالث: إطلاقه على العلوم المستفادة من التَّجربة، فإن مَن حنَّكته التجاربُ يقال عنْه: إنَّه عاقل، ومَن لا يتَّصف بذلك يقال عنْه: غبي جاهل.

الرَّابع: وَ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ جَمَعَ الْعَمَلَ إلَى الْعِلْمِ، حَتَّى إنَّ الْمُفْسِدَ وَإِنْ كَانَ فِي غَايَةٍ مِنْ الْكِيَاسَةِ يُمْنَعُ عَنْ تَسْمِيَتِهِ عَاقِلًا فَلَا يُقَالُ لِلْحَجَّاجِ عَاقِلٌ بَلْ دَاهٍ وَلَا يُقَالُ لِلْكَافِرِ عَاقِلٌ وَإِنْ كَانَ مُحِيطًا بِجُمْلَةِ الْعُلُومِ الطِّبِّيَّةِ وَالْهَنْدَسِيَّةِ، بَلْ إمَّا فَاضِلٌ وَإِمَّا دَاهٍ وَإِمَّا كَيِّسٌ.

---

([2571])الفراهيدي ـ كتاب العين المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، ، ج1/ 150. وابن منظور ، لسان العرب ، ج11/ 458 . وابن فارس : ، معجم مقاييس اللغة ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، ج4/ 69.
([2572])الفراهيدي ، مرجع سابق ، ج5/ 358. وابن فارس ، مقاييس اللغة ، ، ج4/ 446.
([2573])جامي علي ، أبو أحمد محمد أمان بن علي، العقل والنقل عند ابن رشد ، ص 77 .
([2574])ابن أمير حاج ، التقرير والتحبير ، ج2/ 162 .

الخامس: وَيُطْلَقُ عَلَى مَنْ لَهُ وَقَارٌ وَهَيْبَةٌ وَسَكِينَةٌ فِي جُلُوسِهِ وَكَلَامِهِ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ الْهُدُوِّ، فَيُقَالُ فُلَانٌ عَاقِلٌ أَيْ فِيهِ هُدُوٌّ [2575] .

ومن تعريفات المعاصرين للعقل أنه

أ ـ الغريزة المدركة التي ميز الله بها الإنسان عن سائر الحيوانات، وهذه التي يسقط بفقدها التكليف الشرعي [2576] .

ب . إدراك المعارف النظرية، وما يستفاد من التجارب الحسية، ومنه جرى إطلاق العلم على العقل، ويسمى فاقد هذا جاهلاً وأحمقاً وهو يختلف عن المعنى الأول من جهة أنه لا يسقط التكليف [2577] .

ومن جملة هذه التعاريف والمكونات نصل إلى أن العقل " هو جوهر الإنسان ومركزه في الدماغ ونوره في القلب وبدونه يفقد الإنسان ميزاته، فهو صفة ينتقل بها الإنسان من العلم بالضرورة إلى العلم بالنظريات وأنه متوقف على سلامة آلاته التي هي الحواس، وأنه مناط التكليف ومن ثم فإن الشرائع موجهة إليه في الأساس، ومنوطة به في الأداء، فإذا سقط العقل سقطت التكاليف " [2578] .

وقد ورد ذكر العقل في القرآن بصيغ مختلفة "منها ما هي دلالات واضحة على العقل، ومنها ما هي مجازية وهي : "العقل، واللب، والفؤاد، والنهى، والنفس، وهناك دلالات استعملت أيضا للدلالة على العقل لكن من منطلق استعمال العقل ومنها الذكر، والفكر، والبصر، والاعتبار، والحكمة، والشعور، والبصيرة، والتدبر" [2579] .

ومحلُّ العقْل عند الجمهور في القلب وهو قوْل الحنابِلة والشَّافعيَّة والأطبَّاء واستدلوا على ذلك بقولُه تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي

---

([2575])الغزالي ، المستصفى ، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ص 20.

([2576])الجبوري ، عبد الوهاب محمد ، العقل ومكانته في الشريعة الإسلامية ، موقع واتا الجمعية الدولية للغويين والمترجمين العرب ، تاريخ ، 3/ 1/ 2008م
http://www.wata.cc/forums/showthread.php

([2577])الجبوري، ، العقل ومكانته في الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق.

([2578])ياسر أحمد عبد عبد الله ـ صفوان تاج الدين ، العقل عند المتكلمين ، مجلة العلوم الإسلامية ، المجلد السابع ، العدد (2/14) عام 1434هـ ـ 2013م ص 6 .

([2579])ياسر أحمد عبد عبد الله ـ صفوان تاج الدين ، العقل عند المتكلمين ، مجلة العلوم الإسلامية ، المجلد السابع ، العدد (2/14) عام 1434هـ ـ 2013م ص 6 .

فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: 46)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق: 37)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: 179).

وذهبَ بعضُ الحنابلة والمشهور عن أحمد وقوم من أصحاب أبي الحنفية إلى أنَّ محل العقل الدماغ [2580] .

ويبدو لي أنه لا تعارض بين الرأيين لأن العقل له منازل مختلفة حسب ما يعتريه من أحوال ففي حال التكليف الشرعي وأعمال الجوارح يكون المقصود هو العقل والدماغ ، الذي إذا فقده الإنسان كان مجنوناً فاقد الأهلية ومن ثم لا تكليف . وفي حال مخاطبة نفس الإنسان وإرشادها وزجرها عن المعاصي وحثها على الطاعات يكون المراد به القلب .

وعلى هذا يكون العقل أو القلب لقبين لشيء واحد حسب الخطاب الموجه إليه والحالة التي يمر بها.

قال شيخ الإسلام مرجحاً الجمع بين المعنيين : " والتحقيق أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ومبدأ الإرادة في القلب والعقل يراد به العلم ويراد به العمل فالعلم الاختياري أصله الإرادة وأصل الإرادة في القلب والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد. فلابد أن يكون القلب متصوراً فيكون منه هذا وهذا ويبتدئ ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة إلى الدماغ فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء وكلا القولين له وجه صحيح" [2581].

يقول ابن حبان : " والعقل اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتناب الخطأ فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديبا ثم أريبا ثم لبيبا ثم عاقلا كما أن الرجل إذا دخل في أول حد الدهاء قِيلَ له شيطان فإذا عتا في الطغيان قِيلَ مارد فإذا زاد على ذلك قِيلَ عبقري فإذا جمع إلى خبثه شدة شر قِيلَ عفريت وكذلك الجاهل يقال له في أول درجته المائق ثم الرقيع ثم الأنوك ثم الأحمق" [2582].

---

([2580])ابن النجار ( شرح الكوكب المنير )، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد ، ج1/ 83. 84. . آل يتيمية ، {مجد الدين عبد السلام بن تيمية الأب، : عبد الحليم بن تيمية: والابن الحفيد: أحمد بن تيمية } ، المسودة في أصول الفقه ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ص 559 .

([2581])ابن تيمية ، مجموع الفتاوى المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ج9/ 303ـ 304 .

([2582])ابن حبان ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ص 16 ـ 17 .

و قد ورد في السنة مخاطبة الناس بالعقل بما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ «اعْقِلُوا عَنْ رَبِّكُمْ , وَتَوَاضَعُوا بِالْعَقْلِ تَعْرِفُونَ بِمَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ , وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُحَذِّرُكُمْ عِنْدُ رَبِّكُمْ , وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ , وَإِنْ كَانَ دَمِيمَ الْمَنْظَرِ حَقِيرَ الْخَطَرِ دَنِيَّ الْمَنْزِلَةِ رَثَّ الْهَيْئَةِ وَأَنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ كَانَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ عَظِيمَ الْخَطَرِ شَرِيفَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ فَصِيحًا نَطُوقًا , وَالْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِمَّنْ عَصَاهُ , وَلَا تَغْتَرُّوا بِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّاكُمْ , فَإِنَّهُمْ غَدًا مِنَ الْخَاسِرِينَ» [2583] .

**القسم الثاني : التزكية وأثرها في تنمية العقل.**

**1 . معنى التزكية :**

وردت ألفاظ زَكَوَ وهو الأصل الثلاثي من لفظ التزكية تسعاً وخمسين مرة، منها: زكى، وزَكَّى، ويزكى، وأزكى، وزكياً، وزكاة، وأزكى الخ...، ومنها اثنتين وثلاثين مرة بلفظ الزكاة، أي زكاة المال على وجه التحديد بمعنى التطهير والبركة والنمو، وأربع مرات بمعنى المدح والثناء، وأربع مرات بوصف التزكية واحداً من مقاصد الوحي الأربعة، وبقية الآيات تتحدث عن مجالات مختلفة من التزكية بمعاني: التطهير والترقية والتنمية والزيادة في الحسن والنفع [2584] .

وجملة معانيها في المعاجم اللغوية تدور حول الطهارة ، والزيادة والصلاح فيقال: زكيت الثوب ، أي طهرته. وزكا الرجل يزكو زكواً إذا صلح .و يقال زكى المال يزكوا إذا نمى ومنه الزكاة لأنها تزكية للمال وزيادة له [2585] .

وعلى أساس ما ورد من معاني تخص النفس يمكن القول إن المراد بالتزكية للنفس معنيان:

أ – تطهيرها من الأدران والأوساخ ، وهو ما ذكره صاحب الظلال بقوله: التزكي : التطهر من كل رجس ودنس [2586] .

---

([2583])مسند الحارث ، المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري ، ج2/ 806 رقم 825 .

([2584])فتحي ملكاوي ، التزكية رؤية معرفية بمرجعية قرآنية ورقة عمل منشورة على موقع المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، مفهوم التزكية في القرآن تاريخ 3 فبراير 2009م .

([2585])ابن منظور ـ لسان العرب ، ، 14/ 358 . و مرتضى الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس ، ،ج38/ 220.

([2586])سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج6 / 3893 .

ب – إصلاحها، "عن طريق العلم النافع. والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات" [2587].

## 2. دور التزكية في تنمية العقل

ذكرنا سابقاً أن العقل مناط التكليف الشرعي وذكرنا كذلك معنيين في مراد التزكية دعا الإسلام إلى المحافظة عليه ماديا ومعنويا و تأتي التزكية على رأس الجانب المعنوي وهو الجانب الذي أغفله الأقدمون مع أنها مبثوثة في آيات القرآن الكريم وقد جمعها الدكتور عبد المجيد النجار في أمرين :تحرير الفكر ، والتعلم .

### أ ـ حفظ العقل بتحرير الفكر

والمقصود به " أن يكون عقل الإنسان وهو يمارس الحركة من أجل معرفة الحقيقة منطلقاً دون قيد يقيده ليعوقه دون الوصول إلى النتيجة التي يسعى إليها أو موجه يوجهه نحو نتيجة مبتغاة من قبل ذلك الموجه [2588].

ولتحقيق هذا المطلب جاءت آيات القرآن تدعو العقل إلى التفكر فيما يعرض عليه متحرراً من قيود التقليد واتباع الآخرين واعتبرت أن هذا الاتباع يكون سبباً في العقوبة والانتقام من الله تعالى ومن هذه الآيات قوله تعالى:﴿ إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾(الزُّخْرُفِ: 23) وقوله تعالى:﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾ (لُقْمَانَ: 21) وَقوله تعالى:﴿ بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾(الشُّعَرَاءِ: 74) وَقوله تعالى: ﴿إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها﴾ (الْفُرْقَانِ: 42) ، وَقوله تعالىَ ﴿عَنْ وَالِدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾(مريم: 46).

قال الإمام الرازي : " وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالتَّفَكُّرِ وَذَمِّ التَّقْلِيدِ فَمَنْ دَعَا إِلَى النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، كَانَ عَلَى وَفْقِ الْقُرْآنِ وَدِينِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ دَعَا إِلَى التَّقْلِيدِ كَانَ عَلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ وَعَلَى وِفَاقِ دِينِ الْكُفَّارِ" [2589].

وليس المراد تحريم الاتباع فحسب وإنما المراد تحريم كل ميل أو حب أو شهوة أو هوى أو أي سلطان يكبل الفكر ويجعله أسيراً محجورا من اتباع الشرع في كل أمر يعرض عليه من أمور حسية أو غيبية.

---

([2587])عبد العزيز بن محمد علي آل عبد اللطيف ، معالم في السلوك وتزكية النفوس ، ص 57.

([2588])عبد المجيد النجار ، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة ، ص 129.

([2589])فخر الدين الرازي ، ( مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، ج2/ 327 .

ففي الأمور المادية أمره بالعدل ولو مع الخصم قال تعالى : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة : 8).

وفي الأمور الغيبية أمره من التحرر من سلطان الشعوذة والسحر والكهانة والتطير قال تعالى :﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف :131).

**ب ـ حفظ العقل بالتعلم**

والمقصود من اكتساب المعارف للعقل أن " يكتسب القدرة على أن يرشد الإنسان إلى الطريق الذي يمضي به في تحقيق مهمته التي من أجلها خلق وعلى قدر ما يكتسب من العلم يكون توفيقاً في أداء تلك المهمة ،فإذا ما بقى على تلك العلوم الأولية الفطرية أو اكتسب عليها قدرا ضئيلاً لم يستطع أن يحقق من تلك المهمة شيئاً [2590].

ولا يتحقق مقصود العلم للعقل إلا باتباع وسائل منهجية ثلاثة .

**1. التعليم الاستيعابي**

يقصد بالعلم الاستيعابي " هو التعلم الذي تنكشف به الحقائق الموضوعية سواء كانت متعلقة بالغيب ، أو بالكون أو بالإنسان بحيث يحصل في العقل جملة من تلك الحقائق تعكس الواقع في تلك المجالات في الوعي العقلي " [2591]. .

هذا المعنى الاستيعابي للعقل يظهر جليا في قوله تعالى:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: 9) .

قال ابن عاشور رحمه الله :" أَيْ لَا يَسْتَوِي الَّذِينَ لَهُمْ عَلِمٌ فَهُمْ يُدْرِكُونَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَتَجْرِي أَعْمَالُهُمْ عَلَى حَسْبِ عِلْمِهِمْ، مَعَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَلَا يُدْرِكُونَ الْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بَلْ تَخْتَلِطُ عَلَيْهِمُ الْحَقَائِقُ وَتَجْرِي أَعْمَالُهُمْ عَلَى غَيْرِ انْتِظَامٍ، كَحَالِ الَّذِينَ تَوَهَّمُوا الْحِجَارَةَ آلِهَةً وَوَضَعُوا الْكُفْرَ مَوْضِعَ الشُّكْرِ"[2592].

**2 .ـ التعلم التفكري**

---

([2590])عبد المجيد النجار ، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة ، مرجع سابق ، ص 134 .

([2591])المرجع السابق ، ص

([2592])ابن عاشور :التحرير والتنوير ، ج23/ 348ـ 349 .

ومعناه أن يتجاوز العقل مرحلة الاستيعاب للحقائق إلى " التأمل فيها تأملاً عميقا من حيث أسبابها وعللها ومن حيث مآلاتها واستثمارها بحيث ينتهي العقل من هذا التفكر إلى وضع يصبح فيه قادراً على التصرف في ذلك المخزون من العلوم والمعارف الحاصلة لديه بالاستيعاب تصرفاً تصبح به فاعلة في المجرى العملي للحياة " [2593] .

من أجل هذا أشارت آيات قرآنية إلى قيمة التدبر والتفكر والتأمل الي تكون محصلته اليقين الذي لا يرتابه شك ولا يعتريه ظن والآيات في ذلك كثيرة على رأسها قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ( آل عمران: )191.

### 3 . التعلم المنهجي

ومعناه أن " يتم تمرين العقل على أن تكون حركته الفكرية جارية وفق قواعد منهجية ، وتراتيب منطقية من شأنها أن تعصمه أكثر ما يمكن من الوقوع في الخطأ ، وأن توجهه أكثر ما يمكن إلى إصابة الحقيقة" [2594] .

وقد أرشد القرآن إلى اتباع هذا التعلم المنهجي في التفكير في أكثر من موضع في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات :6) وقوله تعالى: : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ (النِّسَاءِ: 94).

إن اتباع المنهجية في التفكير يجب أن يكون من أولويات الاهتمام البحثي في واقعنا المعاصر حتى نصل إلى الغاية المقاصدية المنشودة على الوجه الأكمل في التفكير العلمي السليم في عصر ما زال فيه الكثير " من المفكرين والمنظرين يفتقدون العقلية الترتيبية التي توضّح أولوية المصالح والمفاسد في الشؤون كافة، كما يفتقدون العقلية التركيبية التي تستقري الجزئيات وتربط بينها لتصل إلى القضايا الكلية [2595].

وهذا المعنى أكد عليه الشاطبي بقوله:" فَمِنَ الْوَاجِبِ اعْتِبَارُ تِلْكَ الْجُزْئِيَّاتِ بِهَذِهِ الْكُلِّيَّاتِ عِنْدَ إِجْرَاءِ الْأَدِلَّةِ الْخَاصَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ؛ إِذْ مُحَالٌ أَنْ تَكُونَ الْجُزْئِيَّاتُ مُسْتَغْنِيَةً عَنْ كُلِّيَّاتِهَا، فَمَنْ أَخَذَ بِنَصٍّ مَثَلًا فِي جُزْئِيٍّ مُعْرِضًا عَنْ كُلِّيِّهِ؛ فَقَدْ أَخْطَأَ5.

---

([2593])عبد المجيد النجار ، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة ، مرجع سابق ، ص 136. 137

([2594])عبد المجيد النجار ، مقاصد الشريعة ، مرجع سابق ، ص 138.

([2595])فتحي حسن ملكاوي ، التفكير المنهجي وضرورته ، مجلة إسلامية المعرفة العدد 28 المعهد العالمي للفكر الإسلامي الثلاثاء، جمادى الآخرة 27، 1426

وَكَمَا أَنَّ مَنْ أَخَذَ بِالْجُزْئِيِّ مُعْرِضًا عَنْ كَلِّيِّهِ؛ فَهُوَ مُخْطِئٌ، كَذَلِكَ مَنْ أَخَذَ بِالْكُلِّيِّ مُعْرِضًا عَنْ جُزئِيِّهِ " [2596] .

**القسم الثالث: دور مقاصد القرآن في تزكية العقل**

**1 . بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن**

**أ ـ مقاصد الشريعة** يراد منها " الوقوف على المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظَمِها. وتدخل في ذلك أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها. وكذلك ما يكون من معانٍ من الحكم لم تكن ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها" [2597] [2598] .

ومقاصد الشريعة بهذا المعني قوامها لحفظ الإنسان خمسة أمور بينها الإمام الغزالي بقوله: " وَمَقْصُودُ الشَّرْعِ مِنْ الْخَلْقِ خَمْسَةٌ: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَنَفْسَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَنَسْلَهُمْ وَمَالَهُمْ، فَكُلُّ مَا يَتَضَمَّنُ حِفْظَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَهُوَ مَفْسَدَةٌ وَدَفْعُهَا مَصْلَحَةٌ." [2599].

**ب ـ أما مقاصد القرآن** فيراد بها من وجهة نظرنا ـ الضوابط الاحترازية التي كفلها القرآن لصيانة العقل على وجه الخصوص من الزلل ، وبيان الوسائل التي تعينه على التفكير السليم ، وتهديه إلى الطريق القويم دون شطط أو إيغال في دائرة اللامعقول.

بهذا المعنى يتبين لنا أن مقاصد القرآن للعقل أخص من مقاصد الشريعة التي تشتمل على العقل وغيره .

**2 . مقاصد حفظ العقل في القرآن**

---

([2596])الشاطبي ، الموافقات المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ج3/ 174.

ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، عام النشر: 1425 هـ - 2004 م ، ج2/ 21 .

([2597]). ابن عاشور مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، ج2/ 21 .

[2598] ـ ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، ، ج2/ 21 .

([2599])الغزالي ، المستصفى ،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ، ، ص 174.

تبين مما سبق أن العقل يأتي في المرتبة الثالثة الوسط من مقاصد الشرع الخمسة بعد الدين والنفس وقبل النسل والمال مما يدل على أن العقل هو بؤرة التوازن لحفظ هذه الضرورات وأي خلل فيه يترتب عليه خلل فيها جميعا فهو مناط التكليف **وضابط التصرف وهو أعظم منحة من الله تعالى للعبد يرشده للخير ويبعده عن الشر**.

والعقل بهذا هو " مركب الأمانة وملاك التكليف ، ومطلوب للعبادة بنفسه من غير واسطة " [2600] .

بناءً على هذه المنزلة الرفيعة لوظيفة العقل فإننا نرى القرآن الكريم " لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه" [2601] .

وقد ثبت للعلماء باستقراء آيات القرآن الكريم ورود لفظ " العقل ومشتقاته والكلمات المرادفة له في مائتين وتسع وسبعين موضعاً موزعة معانيه على النحو الآتي:

## 1– ورُوده بصيغة فِعل العقل

ورد فِعلُ العقل في القرآن الكريم في تسعةٍ وأربعين موضعًا، ولم يَرِدْ بشكلِ مصدر مطلقًا، وكل أفعال العقل تدلُّ على عملية الإدراك والتفكير والفهم لدى الإنسان، ويمكن حصر هذه الأفعال بما يلي:

**أ. ورد فعل العقل بصيغة "تعقلون"** في أربعٍ وعشرين موضعًا في القرآن؛ منها قوله قوله تعالى:﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 242]، وقوله – تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 2].

**ب. وورد بصيغة "يعقلون"** في اثنينِ وعشرين موضعًا؛ منها قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 171].

**ج . وورد بصيغة "يعقِلُها"** مرةً واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 43].

---

([2600])الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام، المحقق: عبد الرزاق عفيفي ج4/ 277.

([2601])العقاد ، عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، ص 8 .

**د. وورد بصيغة "نعقل"** مرةً واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: 10].

**هـ . وورد بصيغة "عقَلوه"** مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 75].

**2. وُروده بلفظ الألباب** أي أصحاب العقول في ستَّ عَشْرةَ مرة في القرآن الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: 179]، وقوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: 269].

**3 . وروده بلفظ النُّهَى الدال على العقل،** مرتين في القرآن؛ وهما: ﴿ وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ [طه: 54]، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ [طه: 128].

**4. وروده بلفظ القلب:** في مائة وأربع وأربعين موضعاً ( 144 موضعا ) ليدلَّ على العقل أيضًا في إحدى دلالاته، قال تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: 179]، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: 37].

**5– وورد بلفظ الحِجْر** ليدل على العقل مرة واحدة في القرآن الكريم،

قال تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر: 5].

**6. وُروده بلفظ الفكر** الذي هو نتاج العقل على النحو التالي:

أ. ورد بصيغة "فكَّر" مرة واحدة في قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر: 18 – 19].

ب. وورد بصيغة "تتفكَّروا" مرة واحدة أيضًا في قوله – تعالى –: ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ [سبأ: 46].

جـ. وورد بصيغة " تتفكَّرون" 3 مرات؛ منها قوله – تعالى –: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: 219].

د. وورد بصيغة "يتفكَّروا" مرتين؛ منها قوله – تعالى –: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الروم: 8].

هـ. وورد بصيغة "يتفكَّرون" إحدى عشرة مرة، منها قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: 3] [2602].

وبنظرة إحصائية لما تقدم ذكره يتبين أن لفظ (عقل) ومشتقاته ورد في القرآن على عدة معان، وبدرجات متفاوتة أعلاها وأكثرها ما ورد بمعنى المعرفة والعلم، ثم بدرجة أقل بمعنى القلب الذي تُفهم من خلاله حقائق الأمور، وبمعنى التفكر في آيات الله سبحانه، وبمعنى المنع عن الشيء، وورد بمعنى اتباع الحق والانقياد له.

ومن ثم أولاه القرآن عناية خاصة تحفظه من كل زيغ وتعصمه من كل زلل فسن له من التشريعات والتوجيهات كل ما يحفظ حيويته حتى يكون مؤهلاً للتفكير السليم ومن هذه المقاصد القرآنية ما يلي:

**أ ـ تحريم كل ما يضر بالعقل من المسكرات والمخدرات**

قال تعالى : :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾( المائدة :90- 91) .

قال عمر رضى الله عنه عند زول الآية :" انتهينا انتهينا "[2603].

والإسلام بهذا التحريم سبق فيه العلمانية الغربية التي تزعم أنها تقدس العقل وتعمل على تمجيده وحفظه حيث إنها ـ مع هذا الزعم الزائف لم تستطع أن تحفظ أبناءها من تغول الخمر على عقول أتباعها " رغم الجهود والأموال الطائلة التي تبذل في سبيل الحد من انتشار الخمر والمخدرات في مجتمعاتها، بل رغم التحذيرات التي تطلقها مؤسساتها الصحية بخطر تعاطي الخمر أو الإدمان عليه، والتأكيد بأن كأسا واحدة من الخمر يوميا تزيد فرص احتمال الإصابة بالسرطان بنسبة 168%.

---

([2602])انظر : فهمي قطب النجار ، العقل في القرآن الكريم ، تاريخ 1/15/ 2014م ـ 13/ 3/ 1435 هـ موقع الألوكة http://www.alukah.net . وعائشة البشير على الأسطى ، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ـ جمادى الأولى 1437هـ ـ فبراير مارس 2016م العدد 5، السنة 40 . وإسلام ويب لفظ " عقل في القرآن الكريم ، تاريخ 19/ 1. / 2017.

([2603])النسائي ،السنن الكبرى تحقيق: الأرنؤوط ،كتاب الشربة ، باب ما جاء في تحريم الخمر ، ج8/ 286.

ولم يكتف الإسلام بتحريم ما يفسد العقل حسيا، بل شرع عقوبة لكل من يتجاوز هذا التحريم، فيتناول ما يفسد العقل ويغيبه، فقد ورد في صحيح البخاري "أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين" [2604] .

**ب ـ الاهتمام بتغذية العقل مادياً ومعنوياً**

وتغذية العقل ماديا يكون بتناول الطعام الجيد من سائر الطيبات التي أباحها الله تعالى التي تمد العقل بالحيوة والنشاط وتمنع عنه الضعف والاضطراب وجاء المثل السائر : العقل السليم في الجسم السليم " متطابقا مع دعوة الإسلام للعناية بصحة البدن وقوته وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي عليه السلام : «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيف [2605].

وفي هذا السياق جاءت آيات القرآن بإباحة تناول كل ألوان الطيبات مع التحذير من تناول المحرمات فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: 51) وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: 172) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ " [2606].

وأما تغذية العقل معنويا فقد حيث الإسلام العقل على التزود من العلم بقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(طه:114) وحثه على كثرة الذكر الذي يكسبه الطمأنينة والسكينة : فقال تَعَالَى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28) .

ودعاه إلى ترك الشبهات والظنون بقوله تعالى :﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم 28).

---

([2604])محمد لافي ، مكانة العقل في الإسلام موقع المسلم تاريخ 29 رجب 1436 هـ
http://almoslim.net/node1

([2605]) صحيح مسلم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة ج4/ 2052 رقم2664.

([2606])مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق كتاب ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، ج2/ 703 رقم 1015.

ونهاه عن الخوض في المغيبات من غير سلطان أو علم يأتيه من الوحي المنزل على الأنبياء ، واعتبر ذلك مسببا في هدر طاقته من غير طائل قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(غافر:56) .

**ج ـ التحرر من قيود التقليد وإعمال النظر والفكر واتباع الحجة**

كما في قوله تعالى : ( أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ )( الانبياء:24) وقوله تعالى : ( وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ )( المؤمنون:117) وقوله تعالى: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ )( البقرة:111)

د ـ شغل العقل بالتدبر والتأمل في مخلوقات الله وآياته والسياحة في الأرض للعبرة والتفكر. قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾( النساء:82) وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾(الحج :46).

وقال سبحانه :﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾(العنكبوت:43)

والقرآن بهذه الآيات وغيرها " يوقظ العقل، ويفتح أمامه كتاب الطبيعة؛ ليتعرف منه ما لله من صفات كماله، ونعوت جلاله، ومظاهر عظمته، وأدلة قدسه، وشمول علمه، ونفوذ قدرته، وتفرده بالخلق والإبداع " [2607].

**هـ ـ نهاه عن الاعتقادات الفاسدة المتمثلة** في السحر والشعوذة والخرافات والكهانة والعرافة والتمائم والودع وسائر الأمور الغيبة التي استأثر الله بعلمها والتي لا ينبي عليها عمل يعود عليه بالخير والنفع.

ففي حرمة تعلم السحر جاء قوله تعالى :﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ {البقرة : 102}.

وفي تحريم الكهانة والعرافة ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه والحسن عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ " [2608] .

---

([2607])سيد سابق ، العقائد الإسلامية، ص 22.

([2608]) مسند لإمام بن حنبل ،المحقق: شعيب الأرنؤوط ،ج15/ 331. رقم 9536 .

و ـ دعاه إلى العلم النافع ورفع مكانته بقدر ما يحصل من العلم ورفع درجته بهذه الصفة على درجة المؤمنين

قال تعالى :﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه : 114) وقال تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة : 11)

وقال الله تعالى :﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾( الزمر:9) .

## 3 . تدابير وضوابط احترازية للعقل

ذكر العلماء مجموعة من التدابير والضوابط التي من شأنها المحافظة على العقل من الزيغ والانحراف والإفادة منه على أفضل صورة ممكنة وهى تدابير مبثوثة في كتب العلماء القدماء والمعاصرين ورد بعضها صريحا وبعضها الآخر تلميحا وقد حاولت تبعها واستقصاءها والتعقيب عليها في النقاط الآتية:

### أ ـ عدم الخوض فيما لا طاقة له به

والمقصود منه حجر العقل من الولوج في مجالات معينة ليس مكلفاً بالبحث فيها و ليست من دائرة اختصاصه ولا طاقة له فيها ولن يجدي التفكير فيها نفعاً وعلى رأسها قضية الألوهية خصوصاً الذات والصفات ، والأفعال ، وعضل المسائل والأغلوطات خوفاً من الجدال والمراء المنهي عنه وجاءت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية والآثار لتؤكد ذلك قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ (طه: 110)، وقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى: 11)، وقال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (مريم: 65)، وعَنْ ثَوْبَانَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيَكُونُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي، يَتَعَاطَوْنَ، فُقَهَاؤُهُمْ عُضُلَ الْمَسَائِلِ، أُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي» " [2609] ورُوِيَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ يَوْمًا: سَلُونِي، فَقَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: مَا السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ؟ فَقَالَ لَهُ: قَاتَلَكَ اللَّهُ، سَلْ تَفَقُّهًا، وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتًا، أَلَا سَأَلْتَ عَنْ شَيْءٍ يَنْفَعُكَ فِي أَمْرِ دُنْيَاكَ أَوْ أَمْرِ آخِرَتِكَ؟ ثُمَّ قَالَ: ذَلِكَ مَحْوُ اللَّيْلِ " [2610] .

على أن هذا الضابط الاحترازي للعقل له عدة مبررات منطقية منها :

---

([2609])الطبراني، المعجم الكبير تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ج2/ 89. رقم1431 .

([2610])الآجُرِّيُّ البغدادي: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله ،الشريعة ، ج1/ 485.

1ـ أن الوسائل والمقدمات المادية لا تجدي نفعاً في غير حقلها المادي ، وما لا يرى لا يمكن أن تقع عليه الرؤية ، وما وراء الحس لا يخضع للحس [2611].

" وأما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة بحدود هذه الأرض والحياة عليها دون سند من الروح الملهم والبصيرة المفتوحة ، وترك حصة للغيب لا ترتادها العقول . فأما هذه المحاولة فهى محاولة فاشلة أولاً ومحاولة عابثة أخيراً . فاشلة لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال . وعابثة لأنها تبدد طاقة العقل التي لم تخلق لهذا المجال ومتى سلم العقل البشري بالبديهية العقلية الأولى وهى أن المحدود لايدرك المطلق لزمه ـ احترامه لمنطقه ذاته ـ أن يسلم بأن إدراكه للمطلق مستحيل وأن عدم إدراكه للمجهول لا ينفي وجوده في ضمير الغيب المكنون وأن عليه أن يكل الغيب إلى طاقة أخرى غير طاقة العقل وأن يتلقى العلم في شأنه من العليم الخبير الذي يحيط بالظاهر والباطن والغيب والشهادة " [2612] .

2 ـ ليس معنى عدم اختصاص العقل بالبحث في ذات الألوهية وصفاتها وأفعالها الحجر على العقل في البحث والاستدلال على ألوهية الله وتوحيده والرد على المشككين من الملحدين بكل طوائفهم لاسيما في مجال العقيدة لأن هذه القضية " بما لهما من زخم عاطفي ، ومن سيطرة على وعي الإنسان وتفكيره بمختلف ألوانه وأجناسه وبما لها من صلة وثيقة بنشاطه الحيوي إلى اليوم ، وأثرها البارز عليه نفسياً واجتماعيا وضميرياً وفكرياً ، وبما نشأ حولها منذ وجودها إلى اليوم وانقسام الناس فيها إلى أنصار وخصوم ، ومؤمنين ومنكرين حينما تكون هذه القضية لها كل هذه الأبعاد وهذه الظلال لا يمكن لنا أن نقف منها موقف اللامبالاة ، موقف من لا يعنيه من أمرها شيء أو أن نغلق عقولنا عن التفكير بها أو ان نغمض أعيننا عن رؤيتها " [2613] .

في ضوء هذا المعنى نفهم كيف تصدى علماء العقيدة الإسلامية ـ أمثال: الغزالي وابن تيمية ، وأبو موسى الأشعري، وأبو منصور الماتريدي ، والجويني ، والمحاسبي ، وابن رشد وغيرهم من أئمة الإسلام ـ لمنكري العقيدة وفندوا أباطيلهم وردوا على شبهاتهم .

ونؤيد ما ذهب إليه بعض العلماء المعاصرين أفضلية لجوء العقل على آيات القرآن الكريم لاستكشاف قوانين موضوعية للاستدلال على اليقين بالمغيبات دون الكشف حقيقة هذه المغيبات ذاتها " فمثلا إذا أردنا أن نقرر غاية الخلق وننفي

---

([2611])عبد الله نعمة ، عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة ، ص 10 .
([2612])سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ، ج1/ 40 .
([2613])عبد الله نعمة ، عقيدتنا ، مرجع سابق ص 11 .

العبث نفياً مطلقاً فيمكن أن نطرح على القرآن المجيد سؤالاً: أخُلق الخلق لغاية أم خلقوا لغير شيء ؟ فالقرآن المجيد عند النظر فيه يؤكد أن لم يخلق الخلق عبثاً أو سدًى أو باطلاً بل خلق ذلك كله بالحق . وخلقه ونظامه كان لغاية ثم يحدد هذه الغاية بدقة تامة فهذه " الغائية " قانون فلسفي ينعكس على بلايين الجزئيات في الكون والطبيعة والحياة والإنسان ، ويوجه حركة البحث في الموجودات والظواهر لملاحظة هذا البعد الهام وينفي العبثية والمصادفة وينفع البحث العلمي للغوص وراء المقاصد والحكم والغايات وعدم التوقف دون الكشف عنها ولهذا أهميته الكبيرة في انطلاق العقل الإنساني وراء البحث العلمي واتساع آفاقه " [2614].

ويؤكد الإمام محمد عبده على هذا المعنى فيقول :" إذا قَدرنَا عقل الْبشر قدره وجدنَا غَايَة مَا ينتهى إِلَيْهِ كَمَاله إِنَّمَا هُوَ الْوُصُول إِلَى معرفَة عوارض بعض الكائنات الَّتِي تقع تَحت الْإِدْرَاك الإنساني حسا كَانَ أَو وجدانا أَو تعقلا ثمَّ التَّوَصُّل بذلك إِلَى معرفَة مناشئها وَتَحْصِيل كليات لأنواعها والإحاطة بِبَعْض الْقَوَاعِد لعروض مَا يعرض لَهَا أما الْوُصُول إِلَى كنه حَقِيقَة مَا فمما لَا تبلغه قوته لِأَن اكتناه المركبات إِنَّمَا هُوَ باكتناه مَا تركبت مِنْهُ وَذَلِكَ ينتهى إِلَى الْبَسِيط الصّرْف وَهُوَ لَا سَبِيل إِلَى اكتناهه بِالضَّرُورَةِ وَغَايَة مَا يُمكن عرفانه مِنْهُ هُوَ عوارضه وآثاره" [2615] .

**3ـ أن وظيفة العقل الأساسية هي الاهتداء** والإرشاد إلى ما يعود على المرء بالنفع ويبعد عنه الضرر ويحقق له المصلحة ويدفع عنه المفسدة والبحث في الأمور الإلهية البحتة لن يحقق له منفعة أو مصلحة وإنما تحقق المضرة والمفسدة إذا شغل باللامتناهيات من الافتراضات والاحتمالات والظنونيات فضلا عن المجادلات والخصومات والمنازعات ثم الارتداد إلى نقطة البدء من جديد إن لم يكن قد أصيب بخلل في التفكير والتدبير.

وقد أراحنا علماء التصوف قديماً عن الاشتغال بمثل هذه المسائل بعبارات دقيقة تدل على سلامة الفطرة ويقين المعرفة فقد قال رجل" للنوري مَا الدَّلِيل على الله ؟ قَالَ : الله . قَالَ فَمَا الْعقل ؟ قَالَ الْعقل عَاجز وَالْعَاجِز لَا يدل إِلَّا على عَاجز مثله.

وَقَالَ ابْن عَطاء الْعقل آلَة للعبودية لَا للإشراف على الربوبية

---

([2614])طه جابر العلواني ، مقاصد الشريعة ، ص 155.

([2615])محمد عبده بن حسن خير الله ، رسالة التوحيد ، ص 26.

وَقَالَ غَيره الْعقل يجول حول الْكَوْن فَإِذا نظر إِلَى المكون ذاب" [2616]

وهذا الكلام يؤيده ذكر حَدِيث ـ وإن لم يَصح عند المحدثين ـ فكتاب الله بجملته وتفصيله يُؤَيّد مَعْنَاهُ وَهُوَ ما رواه أبو ذر عن النبي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أنه قال :" تَفَكَّرُوا فى خلق الله وَلَا تَفَكَّرُوا فى ذَاته فَتَهْلكُوا" [2617].

**ب ـ عدم التقديم بين يدي الشرع والتسليم لما يقتضي خرق العادة الظاهرة**

وهذا الضابط له دور كبير في حماية العقل من الإفراط والشطط فيما لا طاقة له به.

وقد بين الشاطبي أن طريق العاقل في هذه المسألة يقوم على أمرين:

**أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا يُجْعَلَ الْعَقْلُ حَاكِمًا بِإِطْلَاقٍ،** وَقَدْ ثَبَتَ عَلَيْهِ حَاكِمٌ بِإِطْلَاقٍ وَهُوَ الشَّرْعُ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُقَدَّمَ مَا حَقُّهُ التَّقْدِيمُ – وَهُوَ الشَّرْعُ – وَيُؤَخِّرُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ – وَهُوَ نَظَرُ الْعَقْلِ – لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ تَقْدِيمُ النَّاقِصِ حَاكِمًا عَلَى الْكَامِلِ، لِأَنَّهُ خِلَافُ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ، بَلْ ضِدُّ الْقَضِيَّةِ هُوَ الْمُوَافِقُ لِلْأَدِلَّةِ فَلَا مَعْدِلَ عَنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: اجْعَلِ الشَّرْعَ فِي يَمِينِكَ وَالْعَقْلَ فِي يَسَارِكَ، تَنْبِيهًا عَلَى تَقَدُّمِ الشَّرْعِ عَلَى الْعَقْلِ.

**وَالثَّانِي: أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ فِي الشَّرْعِ أَخْبَارًا تَقْتَضِي ظَاهِرًا خَرْقَ الْعَادَةِ الْجَارِيَةِ الْمُعْتَادَةِ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْإِنْكَارَ بِإِطْلَاقٍ،** بَلْ لَهُ سَعَةٌ فِي أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُصَدِّقَ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَا جَاءَ وَيَكِلُ عِلْمَهُ إِلَى عَالِمِهِ. وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: 7] يَعْنِي الْوَاضِحَ الْمُحْكَمَ، وَالْمُتَشَابِهَ الْمُجْمَلَ، إِذْ لَا يَلْزَمُهُ الْعِلْمُ بِهِ، وَلَوْ لَزِمَ الْعِلْمُ بِهِ لَجُعِلَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَإِلَّا كَانَ تَكْلِيفًا بِمَا لَا يُطَاقُ. وَإِمَّا أَنْ يَتَأَوَّلَهُ عَلَى مَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَيْهِ مَعَ الْإِقْرَارِ بِمُقْتَضَى الظَّاهِرِ، لِأَنَّ إِنْكَارَهُ إِنْكَارٌ لِخَرْقِ الْعَادَةِ فِيهِ.

---

([2616])الكلاباذي أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص 63.

([2617])زين الدين الحدادي المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ، ج3/ 262. رقم 3347 . والحديث أخرجه من حديث ابن عمر مرفوعا: اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (3/ 927/580) والبيهقي في الشعب (1/ 120/136) والطبراني في الأوسط (7/ 171 – 172/ 6315) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته الناشر المكتب الإسلامي . ج1/ 364. رقم2471 .

عَلَى هَذَا السَّبِيلِ يَجْرِي حُكْمُ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ الْبَارِي بِهَا نَفْسَهُ، لِأَنَّ مَنْ نَفَاهَا نَفَى شِبْهَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذَا مَنْفِيٌّ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، فَبَقِيَ الْخِلَافُ فِي نَفْيِ عَيْنِ الصِّفَةِ أَوْ إِثْبَاتِهَا، فَالْمُثْبِتُ أَثْبَتَهَا عَلَى شَرْطِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَالْمُنْكِرُ لِأَنْ يَكُونَ ثَمَّ صِفَةٌ غَيْرُ شَبِيهَةٍ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ مُنْكِرٌ لِأَنْ يَثْبُتَ أَمْرٌ إِلَّا عَلَى وَفْقِ الْمُعْتَادِ (2618) 2619.

**ج ـ الجمع بين نور العلم ونور الإيمان.**

ومقتضى هذا الشرط ان العاقل لا يطلق العنان لعقله تحصيل العلوم المادية المحسوسة أو الغيبية مستقلاً عن إرشادات القرآن ونوره وهداه حتى لا تكون أقواله وأفعاله ثمرة ميوله وهواه فيشارك الحيوانات في ميولها وهواها وبذلك يضل ويشقى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" الْعَقْلُ شَرْطٌ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ وَكَمَالِ وَصَلَاحِ الْأَعْمَالِ وَبِهِ يَكْمُلُ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ؛ لَكِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا بِذَلِكَ؛ بَلْ هُوَ غَرِيزَةٌ فِي النَّفْسِ وَقُوَّةٌ فِيهَا بِمَنْزِلَةِ قُوَّةِ الْبَصَرِ الَّتِي فِي الْعَيْنِ؛ فَإِنْ اتَّصَلَ بِهِ نُورُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ كَانَ كَنُورِ الْعَيْنِ إذَا اتَّصَلَ بِهِ نُورُ الشَّمْسِ وَالنَّارِ. وَإِنْ انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ لَمْ يُبْصِرْ الْأُمُورَ الَّتِي يَعْجِزُ وَحْدَهُ عَنْ دَرْكِهَا وَإِنْ عُزِلَ بِالْكُلِّيَّةِ: كَانَتْ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ مَعَ عَدَمِهِ: أُمُورًا حَيَوَانِيَّةً قَدْ يَكُونُ فِيهَا مَحَبَّةٌ وَوَجْدٌ وَذَوْقٌ كَمَا قَدْ يَحْصُلُ لِلْبَهِيمَةِ. فَالْأَحْوَالُ الْحَاصِلَةُ مَعَ عَدَمِ الْعَقْلِ نَاقِصَةٌ وَالْأَقْوَالُ الْمُخَالِفَةُ لِلْعَقْلِ بَاطِلَةٌ ([2620]) .

**د ـ لا تعارض بين العقل السليم والنص الصريح**

ومفاد هذا الضابط أن ما يعرض على العقل من أمور تبدو في ظاهرها غير منطقية ومتعارضة في نصوص الشرع الحكيم ـ القرآن الكريم والسنة المقطوع بصحة سندها ومتنها ـ توجب على العاقل أن يتدبرها بأناة وعلم وترو قبل الحكم بالتناقض لأن أقوال العقلاء والعلماء تقرر بيقين أن العقل السليم لا يتعارض مع النص الصريح.

ودليل هذا الضابط أن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل وهو سبحانه خالق العقل فوحدة المصدر تدل جزما على منع التناقض وإن حدث فهو عجز في العقل وقهور منه في الحكم ؛ لأن الله تعالى جعل " العقل السليم من الشوائب ميزانا يزن به العبد الواردات فيفرق به بين ما هو من قبيل الحق وما هو من قبيل الباطل، ولم يبعث الله

---

([2618])الشاطبي ، الاعتصام ، ، ج2/ 840 ـ 841.

[2619] ـ الشاطبي ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الاعتصام ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار ابن عفان، السعودية ، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م ، ج2/ 840 ـ 841.

([2620] ) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مرجع سابق ، ج3/ 338 ـ 339 .

الرسل إلا إلى ذوي العقل، ولم يقع التكليف إلا مع وجوده، فكيف يقال: إنه مخالف لبعض ما جاءت به الرسل الكرام عن الله تعالى؟ [2621] .

**خاتمة البحث**

توصل البحث إلى أن مقصد القرآن في تزكية العقل مبناه التقدير لمكانته والتوجيه لوظيفته ، والتنبيه لمجال عمله ، والتحرر من قيود التقليد والموروث ، والتحذير من الركون إلى عالم الخرافات والأوهام ، والحث على التوغل في أعماق الكون المنظور والمقروء دون خوف أو تردد.

كما تبين للباحث أن مقاصد تزكية العقل الإنساني مبنية على استراتيجية منهجية عمادها التخطيط والتفكير السليم المبني على التعلم الاستيعابي والاقتناع والتدرج في الخطوات حتى يصل إلى نتائج تصل على حد اليقين بدرجة كبيرة.

ويتضح من البحث أن مقاصد تزكية القرآن للعقل قامت على أساس دعوته للنظر والتفكير والتدبر والغوص في أعماق الكون المادية بكل زواياها المختلفة واستكشاف كل ما يحقق المصالح والمنافع و يدرأ عنه المفاسد والمضار وإدراك الحسن والقبح في الأقوال والأفعال ،وفي عالم الغيبيات أطلق القرآن للعقل النظر والاستدلال على توحيد الخالق سبحانه وإبراز مظاهر قدرته وعظمته وتعالى مع وضع التدابير اللازمة للحفاظ عليه في هذه الناحية وهى تدابير من شأنها حماية العقل من الزلل والخوض فيما لا طاقة له به أو النأي عن وظيفته باعتباره أداة إدراك وتمييز ومناط التكليف ، وتحصيل ما هو ضروري لحياة الإنسان، وبذلك يؤدي وظيفته التفكيرية والتأملية كما تؤدي العين وظيفتها البصرية واللسان وظيفته الكلامية ، والأذن وظيفتها السمعية.

ويرى الباحث أن قضية العقل يجب أن تسمو وتتجاوز قضايا تصادم العقل والنقل ، و إعمال العقل أو إهماله أو تقديمه على النص وتأخيره مما هو محل سجال ونقاش منذ أمد بعيد ؛ لأن العقل السليم لا يتعارض بحال مع النص الصريح ، ويجب أن نتجاوز مسألة التردد من البحث في الأمور الغيبية ـ غير المتعلقة بالذات والصفات والأفعال الإلهية التي قطع أمرها بالوحي السماوي ـ يتجاوز ذلك إلى مرحلة جديدة من النقاش والتحليل والنقد لما يعرض عليه من الطرف الآخر مستعينا في ذلك بهدي القرآن وحقائق العلوم المادية التي بلغت مرحلة اليقين ودرجة النظرية.

---

([2621])عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص 228

وفي هذا الصدد يدعو الباحث علماء الكلام والأصول إلى إعادة صياغة مقاصد القرآن في تزكية العقل صياغة مبنية على التكامل بين سائر المناهج الفكرية متعاونة فيما بينها حتى تصبح لدينا نظرية متكاملة عن العقل يكون هدفها تحديد المقاصد الحقيقة لوظيفة العقل وتزكيته على نحو أوسع وأشمل في ضوء الكتاب والسنة مع ربط هذه المقاصد بواقع الحياة ومستجداتها في ضوء النظريات الحديثة التي ظهرت في هذا المجال حتى يكون العقل قادراً على استكشاف أسرار الحياة واكتشاف مكنون أسرارها وقوانينها وتوظيفها في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ ليكون قادراً على التجاوب مع مستجدات الحياة والإجابة عن مشكلاتها المتلاطمة وبذلك يتجاوز مرحلة الجمود على حرفية النص دون إعمال فكر أو استنباط علة أو حكمة و متجاوزا عقبات المعطلين لإعمال العقل الفكر وربط إرشادات القرآن ومقاصده بواقع الحياة فيكون لدينا جيل يؤمن بفهم النص بإعمال العقل في تخطيط الحاضر والمستقبل.

والله من وراء القصد

## مصادر البحث

**1ـ الآمدي** ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ،تحقيق: عبد الرزاق عفيفي ، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان. د. ت.

**2ـ آل تيمية** ، مجد الدين عبد السلام بن تيمية و الأب، : عبد الحليم بن تيمية: والابن الحفيد: أحمد بن تيمية } ، المسودة في أصول الفقه ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الكتاب العربي

**3ـ الإمام أحمد** ،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني مسند الإمام أحمد بن حنبل ،المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ،الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

**4ـ ابن أمير** حاج أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد ، التقرير والتحبير ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م .

**5ـ ابن تيمية** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، مجموع الفتاوى المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، عام النشر: 1416هـ/1995م.

**6ـ جامي علي،** أبو أحمد محمد أمان بن علي، العقل والنقل عند ابن رشد ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: السنة الحادية عشرة – العدد الأول – غرة رمضان 1398هـ/1978م،.

**7ـ الجبوري،** عبد الوهاب محمد ، العقل ومكانته في الشريعة الإسلامية ، موقع واتا الجمعية الدولية للغويين والمترجمين العرب ، تاريخ ، 3/ 1/ 2008م

http://www.wata.cc/forums/showthread.php

**8ـ ابن حبان** ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الكتب العلمية.

**9ـ زين الدين الحدادي المناوي** ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري فيض القدير شرح الجامع الصغير ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، الطبعة: الأولى، 1356.

**10ـ سيد سابق** ، العقائد الإسلامية ، دار الكتاب العربي – بيروت د. ت

**11ـ سيد قطب** ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ، 1423 هـ ـ 2003م .

**12ـ الشاطبي** ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي

أ ـ الموافقات المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،الناشر: دار ابن عفان ، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.

ب ـ الاعتصام ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار ابن عفان، السعودية ، الطبعة: الأولى، 1412هـ – 1992م

**13ـ صحيح البخاري** : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ.

**14 ـ طه جابر العلواني** ، مقاصد الشريعة ، دار الهادي للنشر والتوزيع ، طبعة أولى 1421هـ ـ 2001م.

**15ـ الطبراني** ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، المعجم الكبير تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية ، ج2/ 89.

**16ـ عائشة البشير** على الأسطى ، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ـ جمادى الأولى 1437هـ ـ فبراير مارس 2016م العدد 5، السنة 40 .

**17ـ ابن عاشور** ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي :التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: 1984 هـ.

**18ـ عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود** ، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة: الأولى، 1415 هـ / 1995 م .

**19ـ عبد العزيز بن محمد علي آل عبد اللطيف** ، معالم في السلوك وتزكية النفوس ، الناشر: دار الوطن ، الطبعة: الأولى 1414هـ .

**20ـ عبد الله نعمة** ، عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، 1403هـ ـ 1983م.

**21ـ العقاد** ، عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، طبعة 2013م

**22ـ الغزالي** ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، المستصفى ،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ،الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م .

**23ـ ابن فارس** : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ، معجم مقاييس اللغة ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: 1399هـ - 1979م .

**24ـ فتحي ملكاوي** ، التزكية رؤية معرفية بمرجعية قرآنية ورقة عمل منشورة بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، تحت عنوان مفهوم التزكية في القرآن تاريخ 3 فبراير 2009م .

**25ـ فتحي حسن ملكاوي** ، التفكير المنهجي وضرورته ، مجلة إسلامية المعرفة العدد 28 المعهد العالمي للفكر الإسلامي الثلاثاء، جمادى الآخرة 27، 1426هـ.

**26ـ فهمي قطب النجار** ، العقل في القرآن الكريم ، تاريخ 1/15/ 2014م ـ 13/ 3/ 1435 هـ موقع الألوكة http://www.alukah.net

**27ـ ابن عاشور** محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، عام النشر: 1425 هـ - 2004 م .

**28ـ عبد المجيد النجار** ، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، 2008م.

**29ـ علي بادحدح** ، تحكيم العقل في مسائل الشرع ، موقع ياله من دين

http://www.denana.com/main

**30ـ الفراهيدي** البصري أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ـ كتاب العين المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال

**31ـ الكلاباذي** أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي ، التعرف لمذهب أهل التصوف، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

**32ـ محمد عبده** بن حسن خير الله ، رسالة التوحيد ، الناشر: دار الكتاب العربي.

33ـ محمد لافي ، مكانة العقل في الإسلام موقع المسلم تاريخ 29 رجب 1436 هـ http://almoslim.net/node1

**34ـ مرتضى الزبيدي** محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية . د.ت

**35ـ ابن منظور** محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأفريقي الأنصاري ، لسان العرب ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة

**36ـ النسائي** ، السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

**37ـ ابن النجار**، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: 972هـ) شرح الكوكب المنير ، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد ، الناشر: مكتبة العبيكان ، الطبعة: الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 م

**38ـ النيسابوري** ،: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (صحيح مسلم ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

**39ـ ياسر أحمد عبد الله ـ** صفوان تاج الدين علي ـ العقل عند المتكلمين ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، المجلد السابع ، العدد (2/14 ) عام 1434هـ ـ 2013م